دلالة بنية التكرار ودورها
في تماسك النص الحسيني المصري

أ.د. سهام صائب خضير

جامعة بغداد / كلية اللغات

sihamsaib@colang.uobaghdad.edu.iq

دلالة بنية التكرار ودورها في تماسك النص الحسيني المصري

أ.د. سهام صائب خضير
جامعة بغداد-كلية اللغات
sihamsaib@colang.uobaghdad.edu.iq

المستخلص:

الشاعر الحسيني المصري أسلوب التكرار في شعره لبيان دوره في خدمة القضية الحسينية، فاستطاع أن يخلق نصاً متكاملاً، ومترابطاً شكلياً ودلالياً، فحول أسلوب التكرار من مجرد تأكيد لمعتقد ما إلى وسيلة مهمة في إقناع الناس، فقد أثرت القضية الحسينية في الشخصية العربية على نحو كبير في مصر، فكانت سبباً في إنجازات كبيرة في الميادين العلمية والفكرية، ولاسيما في زمن الفاطميين.

ورد في النص الحسيني المصري أنواع التكرار من حرف، وجملة، وصيغة في مواضع محددة في البيت الشعري فكوّن لنا ذلك إيقاعاً شارك فيه كل من يقرأ النص. فلم يكن أسلوب التكرار الغاية في النص بل وسيلة لإيصال الفكرة للمتلقي.

الكلمات المفتاحية: دلالة، بنية، التكرار، النص، الشعر

The Significance of Repetitive Structure and Its Role in the Cohesion of the Egyptian Husayni Text

Prof. Dr. Siham Saib Khudair

College of Languages | University of Baghdad

sihamsaib@colang.uobaghdad.edu.iq

Abstract:

The Egyptian Al-Hussaini poet employed the technique of repetition in his poetry to demonstrate his role in serving the Husseini case, and he was able to create a complete text, that formally and semantically linked, it transformed the method of repetition from Just confirming a belief into an important means of convincing people. The Husseini issue greatly influenced in the Arab character in Egypt.

The Husseini case was the reason for great achievements in the scientific and intellectual fields, especially during the Fatimids era. The Egyptian Husayni text contains types of repetition, letters and sentences, and a formula in specific places in the poetic verse, which created a rhythm in which everyone who reads the text. The repetition method was not the goal in the text, but rather a means of conveying the idea to the recipient that read the text.

Keywords: The significance , the structure , repetition , text , poetic.

المقدمة:

شكل التكرار في النص الحسيني ظاهرة تستحق الدراسة على مرّ العصور، ولاسيما عند الشاعر الحسيني، فللتكرار بنية معنوية خاصة وموسيقية مهمة تتشكل من دلالة الألفاظ المحددة المكررة والشاملة لما يشعر به المبدع من واقعه المعاش ومدى تفاعله النفسي. فدلالة الألفاظ المكررة تتعدى معناها الأصلي إلى معنى التأكيد ويضفي التكرار قيمة جمالية وايقاعية واضحة. ويبرز التكرار في النص الشعري بكونه إحداثاً لمبدأ التنظيم على المستوى الموقعي؛ وذلك لكون البنية الشعرية ذات طبيعة تكرارية منظمة في نسق لغوية، فيتشكل لنا وضع شديد التعقيد لما يحدثه التكرار من تنظيم عن طريق (فتوح، تحليل النص الشعري في بنية القصيدة الغربية ١٩٩٩م: ٨٦) للتعبير عما يختلج الشاعر في دواخله التي تترجم إلى كلمات ينطلق بها لسانه. وقد ذكر ابن فارس: ((من سنن العرب التكرار، والإعادة، وإرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر)) (بن فارس، الصاحبي (كتاب في فقه اللغة) ٢٠٠٥م:٣٥١) فقد أدرك العرب بفطرتهم طبع البشر وقدرتهم على التذكر، فلو ذكرت الشيء مرة واحدة فقد تتذكر جزءاً منه في حين لو كررته أكثر من مرة فقد تتذكر نصفه، أما إذا كررته أكثر من مرة فقد تتذكره كله، وهذا الغرض جعله من سنة العرب لرغبتهم في الإبلاغ عن شيء معين ومدى العناية به.

قسمت بحثي إلى محاور فذكرت في المحور الأول: أبرز شعراء الإمام الحسين (عليه السلام) في مصر، وذكرت في المحور الثاني: أنواع التكرار ودلالتها، وبيّنت في المحور الثالث: بنية التكرار وأهميته في تماسك النص الشعري. وختمت بحثي بأهم ما توصلت إليه من نتائج.

المحور الأول

أبرز شعراء الإمام الحسين (عليه السلام) في مصر:

أثرت القضية الحسينية على الشعراء على مرّ العصور وبمختلف بقاع الأرض، فهي قضية ممتدة تحكي عن الحق ضد الظلم. فقد تأثر المصريون بما حدث في كربلاء من قتل وسبي وساندوا القضية الحسينية، وبلغ تأييدهم أشده في عصر الفاطميين حيث بلغ ذروة الترابط بين أهل مصر وأهل البيت (عليهم السلام) فقد عُني الفاطميون بالمناسبات الدينية فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتهم، فتتسم الأسواق في يوم عاشوراء بالحزن، وتعج بالمُنشدين إلى جامع القاهرة يرددون كلمات تبين حبهم للإمام الحسين (عليه السلام) وينوحون على مصابه (ينظر الصفار، الإمام الحسين في الشعر المصري، ٢٠١٥م : ١)، استطاع الشاعر أن يتوحد مع القضية الحسينية فكانت كذاته التي ينطق بها فصارت صورة الآخر لا تُقدم إلا مبطنة بصورة الذات، فتأتي الصورة مضاعفة (مزدوجة)، فصارت صورة الآخر تشبه صورة الذات، وملازمة

لها، كأنها وحدة لا تنفصل، وبذلك تفصح عن قصد أي خطاب؛ وبذلك يظهر لنا المعنى الحقيقي بين صورة الذات والآخر. (ينظر آل سلطان، الذات والآخر في المنظور النفسي والاجتماعي والفلسفي، ٢٠٢٢م: ٧٣٢)، فالمعادلة كانت متعلقة بأكثر من طرف وزمان فهي ترتبط بين أتباع الإمام الحسين (عليه السلام) وبين من خان الأمانة، وبين الماضي والحاضر، وبين العدل ومناصرته والظلم وأتباعه؛ لذلك تأثر شعراء مصر بها على الرغم من البعد المكاني والزماني بينهم وبين المصاب وأبرز الشعراء من القدماء الذين جعلوا من القضية الحسينية بؤرة المعنى في شعرهم (الصفار، الإمام الحسين في الشعر المصري، ٢٠١٥م : ١)، وقد شمل هذا البحث شعراء منهم:

١. الأمير أبو علي تميم بن الخليفة المعز لدين الله معد بن إسماعيل الفاطمي (٣٣٧ – ٣٧٤ هـ / ٩٤٨ - ٩٨٤ م)

٢. الشاعر المصري أبي محمد بن طلحة بن عبيد بن محمد بن أبي العون الغساني بـ (العوني المصري) (ت ٣٥٠ هـ)

٣. ابن جبير المصري (٤٨٧ / ٤٢٠ هـ)

٤. الشاعر أبو الحسين أحمد بن علي بن الزبير الغساني المعروف (القاضي الرشيد) (ت ٥٦٢ هـ)

٥. الشيخ عبد الله بن محمد الشبراوي المصري (شيخ الأزهر) (ت ١١٧٢ هـ).

أعرضت عن الخوض في الشعر الحسيني عند الشاعر المصري في العصر الحديث؛ وذلك لضيق مساحة هذا العمل عن حصر الشعر المصري قديماً وحديثاً عن القضية الحسينية، راجية أن تمنحني الأيام فرصة لدراسة التعبير الإبداعي لشعراء العصر الحديث من المصريين لما حملته أبياتهم من عاطفة جياشة تحاكي الأحداث كأنها أمامهم وهم في خضمها فما لهم سوى صوتهم الذي يصدح في أبيات شعرهم.

المحور الثاني

أنواع التكرار ودلالتها

ظهر أسلوب التكرار في القصائد الحسينية المصرية بأنواع مختلفة، فقدم لنا قدرات مختلفة بخلاف مكونه الثابت، فتكرار الحروف، والكلمات، والأدوات، والجمل، والصيغ، قد تكون متشابهة في البيت الشعري أو القصيدة بعامة لكن كل نوع من التكرار يحمل في مضمونه محتوى لا يتضمنه الحرف أو الكلمة أو الجملة لوحدها؛ ولعل لكل نوع ميزاته الخاصة التي جعلت منه أساس المعنى وقد قسمت أنواع التكرار على وفق ما ورد في الشعر المصري إلى:

١. الحروف

هناك نوعان للحروف هما: حروف المبنى، وحروف المعنى. ومن أمثلة تكرار حرف المبنى أي الحرف الذي تتكون منه الكلمة فلا غنى عنه فلا نستطيع حذفه لما له من أساس في بنية الكلمة مثلاً تكرار حرف المبنى

(الكاف، واللام) بتتابع في كلمة واحدة (فكلكلوا) التي ذكرها الشاعر المصري أبي محمد بن طلحة بن عبيد بن محمد بن أبي العون الغساني بـ (العوني المصري) (ت ٣٥٠ هـ) (شبر، أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، ١٩٨٨م، ج٢/ ٤٨):

فكلكلوا فوقه فهذا

يقطع رأسا وذا جناحا

فمعنى كلمة (فكلكلوا) أي أثقلوا عليه (ينظر ابن منظور، لسان العرب، ٢٠٠٩م:١١/ ٥٩٧)، وضغطوا ليفعلوا فعلهم الشنيع بجسده الطاهر (سلام الله عليه)، فجاء تكرار هذه الحروف دلالة على جنس الفعل الذي قاموا به لذلك تعتمد بعض الألفاظ على ((التكرار الصوتي في بنيتها التركيبية... يعكس درجات التردد والعلو، الترشيح، وحركة الحزم الصوتية لملامسة الفضاء الدلالي الذي تسعى هذه الوحدات للامساك به، وتحقيق وجوده على المستويين السطحي والعميق)) (الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ٢٠٠٢ م: ٥١)، ولعل تكرار حرفي الكاف واللام على هذا المنوال له علاقة بصفات هذين الحرفين، فقد ذكر ابن جني أن الكاف من الحروف التي تتميز بالشدة في النطق في حين حرف اللام من الحروف التي تجمع بين الشدة والرخاوة (ينظر النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ١٩٨٠م: ٣١٢، ٣١٥)، وهذا التكرار يعطينا فكرة عما حدث في المعركة التي امتازت بالهجوم المتكرر بلا هوادة. فحرف الكاف من الحروف التي تمتاز بصفات قوية تجمع الشدة والجهر وهذه الصفات أثرت على حرف اللام الذي بعده فأكسبته قوة، فطبيعة الصوت في الكلمة تختلف عما هو عليه منعزلاً مستقلاً فقد يتحول المهموس إلى درجة تقل في الكلمة من غير أن يصبح مجهوراً (خليل، الكلمة (دراسة لغوية معجمية) ١٩٩٨م: ١٦٣؛ استيتية، اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج)، ٢٠٠٥م : ٨٨). فالأصوات لها أوصاف بارزة من اللين، والقوة، والرخاوة، والتماسك فتظهر في النص، فتبين ما يختلج الشاعر من أفكار، وقد يصبح صوت الحرف المكرر كأنه نقرة متتابعة على وتر واحد، فيكوّن رنيناً يؤثر في نفس المتلقي، وقل ضعف ذلك إذا ما تكرر حرفان في بنية الكلمة الواحدة (ينظر شرشر، البناء الصوتي في البيان القرآني ١٩٨٨ م: ٩١) في الشعر فالتكرار يكون له قدرة على ترسيخ ما يرسمه الشاعر من صورة.

ونجد النوع الثاني من حروف المعنى وهي حروف لها معنى فيما بعدها ونستطيع الاستغناء عنها، لكنها تؤدي معنى مضافاً يحتاج المتكلم مثل تكرار اللام في الشطر الأول في قول الشيخ عبد الله بن محمد الشبراوي المصري (شيخ الأزهر) (ت ١١٧٢ هـ) (شبر، أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، ١٩٨٨م،ج٥/ ٢٦٥)

لـك في الحـشرِ يـا حسـينُ مقـامٌ

ولأعـداكَ فيـه خـزيٌ وطـرد

يـا كريـم الداريـن يـا مـن لـه الدهـرُ

عـلى الرغـمِ مـن يعانـدُ عبـدُ

أنـتَ سـيفٌ عـلى عـداكَ ولكـن

فيـكَ حلـمٌ ومـا لفضلـك حـدُ

فمن معاني اللام التملك فقد جعل من يوم الحشر ملكاً للحسين عليه السلام للنصر في حين نصيب الأعداء الخزي والطرد من رحمة الله، فلمن الملك في يوم القيامة سوى لله الحق القيوم ناصر المظلومين، فيظل بظله من يشاء.

ونجد تكرار أداة النداء (يا) في الشطر الأول من البيت الثاني واصفاً الإمام الحسين (عليه السلام)، ونعلم إننا ننادي من بَعد عنا باسمه لكن الشاعر هنا ناداه بصفاته التي لا تخفى على أحد دلالة على ثباتها حتى أصبحت الصفة معرفاً للشخص بدلاً عن اسمه.

وكرر الشاعر حرف العطف (الواو) في وسط كلاً من الشطر الأول، والشطر الثاني من البيت الثالث، فالتكرار في الموضع نفسه لحرف يدّل على الإعادة والعطف، فكل حرف مكرر يحمل دلالات نفسية يعنيها الشاعر بهدف الإيحاء إلى أمر ما، وبيان جانبٍ من موقف نفسي أو انفعالي في نفس الشاعر (ينظر الزبيدي، التكرار وأنماطه في شعر عبد العزيز المقالح، ٢٠١٥م: ٢٦٥)، فألف الشاعر معادلة معنوية في داخل البيت، فالإمام الحسين سيف لكنه سيف يمتاز بصفات مضافة عن صفات السيف العادي من الشدة بل هو سيف يمتاز بالحلم والفضل والخير، وهذه صفات حامله.

ومن أبرز أنواع تكرار الأدوات تكرار أداة الاستثناء (إلاّ) في قول الشاعر أبي الحسين أحمد بن علي بن الزبير الغساني الأسواني المصري الملقب (القاضي الرشيد) (ت٥٦٢ هـ) (شبر، أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، ١٩٨٨م:ج ٣/ ١٦٥)

خـذوا بيـدي يـا آل بيـتِ محمـدٍ
إذا زلّـت الأقـدامُ في غـدوةِ الغـدِ
أبـى القلـبُ إلاّ حبّكـم وولاءكـم
ومـا ذاك إلاّ مـن طهـارةِ مولـدي

انمازت بنية التكرار في هذين البيتين بترابطهما، فمن الصعب الفصل بينهما، فموقع فعل الأمر في بداية الشطر الأول (خذوا) رجاءً من الشاعر لآل البيت (صلوات الله عليهم)، ورغبة من الخلاص من الوقوع في الإثم فرغبته نابعة من القلب؛ لذلك استعمل الشاعر أداة الاستثناء في منتصف صدر البيت الثاني وعجزه للدلالة على حبه لآل البيت (صلوات الله عليهم)، وعادة ما تستعمل أداة الاستثناء لاستثناء شيء من مجموعة لكنه في هذا البيت يجعل كل ما يرغب به هو هذا الاستثناء، وهذا دلالة على أصله الطاهر الذي يحب آل البيت (صلوات الله عليهم)

٢.الكلمات

حاول الشاعر الحسيني أن تكون مشاعره واضحة أمام المتلقي لذلك عمد إلى أسلوب تكرار الكلمات التي تُحدث ايقاعاً واضحاً في شعره، إذ تبرز القيمة السمعيّة لتكرار الكلمات أكثر من قيمة الحرف الواحد في الكلمة، فتأتي الكلمة للتأكيد، أو التحريض، أو لكشف اللبس (ينظر بلاوي، ظاهرة التكرار ودلالاتها الفنيّة في شعر

الدكتور علي مجيد البديري، ٢٠١٨م: ٧). ونجد الشاعر الحسيني يُكثر من ذكر مدينة الإمام (عليه السلام) (كربلاء) موضع المصاب الأليم، وكأنه تحسس موضع ألمه الذي يتكرر في بلده، فمصاب الحسين (عليه السلام) لم يكن في شخص واحد، ومكان واحد، وزمن واحد لكنه مصاب أمة كاملة تحاول محاربة الظلم والوقوف بوجهه؛ لهذا ربط الشاعر أبو الحسين أحمد بن علي بن الزبير الغساني المعروف (القاضي الرشيد) مصر بكربلاء في رثائه للظافر بالله (شبر، أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، ١٩٨٨م،ج ٣: ١٥٧):

أفكربلاءٌ بالعـــــــــرا
ق وكربلاءُ بمصرَ أخرى

كرر الشاعر كلمة (كربلاء) في بداية الشطر الأول، وبداية الشطر الثاني في الموضع نفسه كأنه يخبرنا أن المصاب قد تكرر، وكان سبباً في الدمار لذلك قسم كلمة (العراق) إلى أقسام، ولم يجعلها في شطر واحد، فجعله بيتاً مدوراً ترتبط كلماته وتفعيلاته كارتباط الماضي بالحاضر وتكرر المصائب تبعاً بلا توقف فالظلم لا يحده حد، ولا يوقفه إلا الصادقون من المؤمنين.

وأشار أبو بكر السيوطي إلى أن للتكرار فوائد منها: التقرير، وزيادة التنبيه ولتطرية السّامع، والتعظيم، والتهويل، وغيرها من الأغراض (ينظر السّيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ١٩٧٣م،ج ٢: ٦٦)، وهذا ما حاول الشاعر ابن جبير المصري التعبير عنه (٤٨٧ / ٤٢٠ هـ) حين استعمل التكرار إلى أقصى حدّ؛ لذلك عمد الشاعر إلى تكرار موضع الحزن في جسد الإنسان الذي يعاني على مصاب الحسين (عليه السلام) فعمد إلى تكرار كلمة (كبدي) (شبر، أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، ١٩٨٨م: ٢/ ٣٣٢):

يـــا آل أحمـد كـم يكابـد فيكـــم
كبـدي خطوبـــاً للقلـوب نواكي
كبـدي بكـمْ مقروحـةٌ ومدامعـي
مســفوحةٌ وجــوى فــؤادي ذاكي
وإذا ذكـرتُ مصابكـم قـال الأسـى
لجفونـــي اجتنبـــي لذيـذ كـــراكِ

فالكبد أكثر الأعضاء تأثراً بالحزن فكرره كذكره لمصاب الإمام الحسين (عليه السلام) في كل وقت فعلى الرغم من ذكره مواضع أخرى للحزن (القلب والجفن) إلا أنه لم يكررهما إلا في معنى مختلف، وكرر كلمة (القلب) بذكر (الفؤاد)، وكرر كلمة (مدمعي) بكلمة (جفوني)، فقد كرر الشاعر كلمة (الكبد) الذي يعاني من الذكرى المتكررة في ذهنه التي سببت له معاناة جمة. فظلال الكلمات تثير الأفكار في ذهن المتلقي، لذلك عمد الشاعر إلى تكرار كلمة بذاتها ولم يكرر أخرى، فالنظم يعتمد على انتقاء الكلمات من ناحيـة معانيها، والناحية الفنية بما توحيه من احاسيس وأفكار ترتبط بها ومن ناحية موسيقاها، فقد تتناغم كلمة مع كلمة، وقد تتنافر كلمة من أخرى، وقد تؤثر كلمة في إثارة العواطف، وما لا تفعله أخرى (ينظر القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ١٩٧٢ م،ج١: ٢١١).

٣.الجمل والصيغ

يعدّ تكرار الجمل والصيغ من أكثر أنواع التكرار التي استعملها الشاعر الحسيني المصري لما له من أهمية في بيان المشاعر، وقدرتها على مشاركة المتلقي في هذا النمط، ولاسيما إذا توحد موضع التكرار في البيت الشعري في حين يقرأ المتلقي الأبيات يكون كمن يندب مصابه كتكرار الجملة الأسمية (أنا في عرض) في بداية قول الشاعر قصيدة الشبراوي الشيخ عبد الله الشافعي (ت١١٧٢هـ) (شبر، أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، ١٩٨٨م: ٥/ ٢٦٦):

أنا في عرض تربة أنت فيها
يا حسيناً وبعدُ حاشا أُرَدّ
أنا في عرض جدك الطاهر الطهر
إذا ما الزمان بالخطب يعدو
أنا في عرض جدك المصطفى مَن
كل عام له الرحال تُشدّ

حينما نقرأ هذه الأبيات يعتصر قلبنا من مناشدة الشاعر للإمام الحسين (عليه السلام)، فكلامه يشمل كل من يقرأ هذه الأبيات فما أحوجنا إلى الإمام الحسين (عليه السلام) في زماننا فنكرر – نحن المنشدين لهذه الأبيات- في بداية صدر البيت الثاني قوله من دون شعور منا، فنحن في عرض جده الطاهر، وينطبق الحال في صدر البيت الثالث، فنكرر العبارة لا شعوريا لما فيها من رغبات القلب التابع لطريق الحسين (عليه السلام)، فكلنا نشد الرحال في كل عام شوقاً ومحبة له ولآل البيت (صلوات الله عليهم).

نسج الشاعر الحسيني شعره ككتلة واحدة مع مراعاة التأليف بين الألفاظ والجمل، حتى تكون أجزاء الكلام مترابطة آخذاً بعضها بأعناق بعض، وعند ذلك يصفو جوهر نظام التأليف (ينظر العلوي ،الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ١٩٨٢ م،ج٢: ٢٢٤)؛ لذلك عمد الأمير أبو علي تميم بن الخليفة المعز لدين الله معد بن إسماعيل الفاطمي (٣٣٧ – ٣٧٤ هـ / ٩٤٨ ـ ٩٨٤ م) إلى تكرار جملة الاستفهام (متى) في بداية كل بيت، فأسئلته يطرحها للمتلقي، ولم يعطِ لها أجابه، ولم يتنظر من المتلقي أن يُجيب عليها، فقال (شبر، أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، ١٩٨٨م،ج ٢: ١٢٥):

متى قطُّ أضحى عبد شمس كهاشم
لقد قلّ إنصاف وطال شِراد
متى وُزنت صمّ الحجار بجوهر
نبيا علت للحق منه زناد
متى كان يوما صخركم كعليّهم
إذا عدّ إيمان وعدّ جهاد
متى أصبحت هند كفاطمة الرضى
متى قيس بالصبح المنير سواد

فكانت أسئلته لا تحتاج لجواب فهو يعرف إجابتها لكنه سؤال انكاري لمن يرغب في مقارنته بين آل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، وبين من عاداهم، وحاد عن دربهم.

وقد يكرر الشاعر الصيغ مع تغيير الكلمات في تلك الجمل، وذلك يعمل على تكثيف معاني الألفاظ المكررة في داخل النص الشعري ويدعم ثبات معنى النص، فربما لا تحمل اللفظة المكررة الثانية دلالة اللفظة الأولى؛ لإن اللفظة المكررة تكسب معناها مما يسبق ومما يأتي بعدها، وهذا سبب وجودها مرة أخرى، فتحمل دلالة جديدة تضاف إلى نسيج النص، وفك شفراته الدلالية عن طريق التتابع الدلالي (ينظر آبادي، التكرار من منظار علم اللغة النص، ودوره في تماسك النص على نظرية هاليداي وحسن (الخطبة القاصعة من نهج البلاغة أنموذجا) آفرين زارع، ٢٠١١م : ١٢٩) كما في قول أبي محمد بن طلحة بن عبيد بن محمد بن أبي العون الغساني بـ (العوني المصري) (ت ٣٥٠ هـ) حينما لجأ إلى تكرار أسلوب النداء(شبر، أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، ١٩٨٨م:،ج٢: ٤٧):

فيا بضعة من فؤادِ النبيّ
بالطفِّ أضحتْ كثيباً مهيلا
ويا كبداً من فؤادِ البتول
بالطفِّ شلّت فأضحتْ أكيلا
قُتلتَ فأبكيتَ عينَ الرسول
وأبكيتَ من رحمةٍ جبرئيل

تكرر نمط الجملة في قول الشاعر من (يا النداء، والمنادى، وحرف الجر، والاسم المجرور) في الشطر الأول من البيت الأول، ثم كرر الشاعر (حرف الجر والاسم المجرور وفعل وتاء التأنيث) في الشطر الثاني من البيت الأول ثم كرر هذا النمط في البيت الثاني حتى يمهد ما يريد قوله في البيت الثالث من فاجعة القتل، وبكاء عين الرسول (صل الله عليه وآله وسلم)، ثم بكاء الملائكة. فنمطية التكرار تعطي صفة التأكيد والثبات وإقناع المتلقي لما يريد المتكلم أن يطرحه من أفكار، لذلك كرر نمط الجملة بتغيير الكلمات؛ ليبين لنا الأصل الطاهر للشهيد فقد قُتل الإمام الحسين (عليه السلام) في الطف، فذكره الشاعر بما وصفه الرسول (صلّ الله عليه وسلم) بقوله: (بضع مني) وكبد البتول (سلام الله عليها) وهذا الأمر تدمع عليه عين المتلقي لعظم المصاب فحينما يقرأ المتلقي الأبيات السابقة سيجد نفسه يكرر المصاب لما حملته الأبيات من مشاعر قدمتها إعادة نمط الجملة التي حملت من الأسى ما جعلنا نبكي بكاء شاعره.

وجدنا بنية تكرارية غريبة لما فيها من تكرار لحرف النداء (يا) في قصيدة الشبراوي الشيخ عبد الله الشافعي (ت١١٧٢هـ) في معظم أبيات القصيدة (شبر، أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، ١٩٨٨م: ٥/ ٢٦٧)

يا آل طه من أتى حبكم ... فكم لمن يسعى اليه اغتنام
مؤملاً إحسانكم لا يضام ... ينشرح الصدر إذا زرته
لذنا بكم يا آل طه وهل ... وتنجلي عنك الهموم العظام
يُضام من لاذ بقوم كرام ... كم فيه من نور ومن رونق
تزدحم الناس بأعتابكم ... كأنه روضة خير الأنام
والمنهل العذب كثير الزحام
من جاءكم مستمطراً فضلكم
فاز من الجود بأقصى مرام
يا سادتي يا بضعة المصطفى
يا من له في الفضل أعلى مقام
أنتم ملاذي وعياذي ولي
قلب بكم يا سادتي مستهام
وحقكم إني محبّ لكم
محبة لا يعتريها انصرام
وقفت في أعتابكم هائماً
وما على من هام فيكم ملام
يا سبط طه يا حسين على
ضريحك المأنوس مني السلام
مشهدك السامي غدا كعبة
لنا طواف حوله واستلام
بيت جديد حلّ فيه الهدى
فصار كالبيت العتيق الحرام
تفديك نفسي يا ضريحاً حوى
حسيناً السبط الامام الهمام
إني توسّلت بما فيك من
عزٍّ ومجد شامخ واحتشام
يا زائراً هذا المَقام اغتَنِم

لجأ الشاعر الحسيني إلى تكرار حرف النداء (يا) أكثر من سائر حروف النداء الأخرى، فدلالة أداة النداء (يا) على القريب، والبعيد، ومتوسط البعد تتطابق مع حالة الشاعر من الإمام الحسين (عليه السلام)، فهو قريب منه روحياً وبعيداً عنه مكانياً و زمانياً ومتوسط البعد عن الواقعة، فتارة يناصره في العلن وأخرى يناصره في الخفاء تبعاً للنظم السياسية التي حكمت عصر الشعراء الحسينيين في مصر. وهذا التشابه جعل من الشاعر الحسيني المصري يُقبل على استعمال حرف النداء (يا)؛ لما يحمله من معاني خفية وقدرته على حث المتلقي على المشاركة في النداء، فكأننا نقف في رحاب الحبيب الحسين (عليه السلام) وآل البيت (صلوات الله عليهم)، فنلحظ تكرار حرف النداء الياء في القصيدة في مواضع مختلفة هي: (يا آل طه) في صدر البيت الأول والثاني، و (يا سادتي يا بضعة المصطفى) في صدر البيت الخامس، و (يا سادتي) في عجز البيت السادس، و (يا سبط طه يا حسين على) في البيت التاسع، و (يا ضريحاً حوى) في صدر البيت الثاني عشر، و (يا زائراً هذا المقام اغتنم) في صدر البيت الرابع عشر. نلحظ وقوع التكرار في صدر البيت عادة، وهذا يدل على محاولات الشاعر إلى جذب انتباه المتلقي لما يرغب في الإفصاح عنه من مكنونات القلب، وبما يرغب في توجه المتلقي إلى ما فيه الصلاح.

ولعل تكرار نمط الجمل أكثر من تكرار الجمل بألفاظها من غير تغيير، فكان الأسلوب السائد تكرار نمط الجملة عند الشاعر المصري ((وهذا التركيب من الجمل والعبارات أعطى اللغة القدرة على التعبير عن المعاني بأكثر من طريق وكل طريق يكون هو الأفضل والأنسب في زمانه ومكانه، فسعتها التعبيرية مكنت متكلمها من التعبير عمّا يدور في خلده من أفكار، بأدق تركيب وأوجز أسلوب، فيقدم ما يهمه على غيره في التركيب، خدمة لغرض دلالي في نفسه، كما يكرر لفظاً معيناً في تركيب معين لغرض دلالي آخر، كما أنه يذكر ويحذف، وينتقل من أسلوب إلى آخر، ومن لفظ إلى آخر. ولهذا اتسمت العربية (بحرية الحركة) أي حركة مفرداتها داخل النظام أو التركيب فلم يحدّها أسلوب واحد أو تنظيم واحد)) (مهدي، التكرار في الحديث النبوي الشريف (دراسة دلالية في كتاب (الكاشف عن حقائق السنن) للطّيبي (ت٧٤٣ هـ)، ٢٠١٧م: ٢) كما نجد ذلك في قول الأمير أبو علي تميم بن الخليفة المعز لدين الله معد بن إسماعيل الفاطمي (٣٣٧ – ٣٧٤ هـ / ٩٤٨ ـ ٩٨٤ م) الذي عمد في قصيدته إلى أسلوب تكرار الصيغ (شبر، أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، ١٩٨٨م:٢/ ١٢٦):

لا والمضرّج ثوبهُ
في كربلاء من الدماءِ
لا والوصي وزوجه
وبنيه أصحاب الكساء
أولا فإنــي للعُصا
ة الغاصبين الأدعياء

فقد كرر في صدر البيت الأول، وصدر البيت الثاني كلمة (لا) الدالة على الرفض، و(واو القسم) مع اسم معرف بـ (ال). فكانت هذه الصيغ دالة على رفض ما حصل في كربلاء من دماء بسبب الأدعياء والغاصبين.

المحور الثالث

بنية التكرار وأهميته في تماسك النص الشعري

استطاع الشاعر الحسيني المصري أن يُكون قصائد شعرية تعتمد اعتماداً كلياً على التكرار فلا يكاد يخلو بيت شعري من التكرار. فللتكرار قيمة أسلوبية تعبيرية مهمة لما لها من قدرة على التكثير والمبالغة في وصف المواقف العاطفية والمقامات الخطابية، فهو وسيلة فعالة في توضيح المعاني وترسيخها في الأذهان وتوصيلها إلى المتلقي، فكان التكرار الأسلوب البلاغي السائد في تلك القصائد كما في قصيدة الشاعر المصري أبي محمد بن طلحة بن عبيد بن محمد بن أبي العون الغساني بـ (العوني المصري) (ت ٣٥٠ هـ) حين رثى الإمام بقصيدة مطلعها قائمة على التكرار منذ بدايتها (شبر، أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، ١٩٨٨م:٢/ ٤٧ –وما بعدها):

يا قمرا غاب حين لاحا
أورثنــي فقــدك المناحا
يا نوب الدهر لم يدع لي
صرفك من حادث صلاحا
أبعد يوم الحسين ويحيى
أستعذب اللهو والمزاحا

فقد كرر حرف النداء (يا) في بداية القصيدة وصيغة النداء عادة تستعمل في طلب انتباه المخاطب لكنه استعمل أسلوب النداء لمخاطبة الحاضر الغائب عن عالمنا الإمام الحسين (عليه السلام) فقال: (يا قمراً)، وتارة أخرى يخاطب الدهر الذي لم يدع له القدرة على الإصلاح، ويستمر الشاعر في استعمال أسلوب التكرار حينما كرر اسم الإشارة (ذاك) دلالة على اليوم المشؤوم:

فصار ذاك الصباح ليلا
وصار ذاك الدجى صباحا
فجاء إذا جاءهم تنحّوا
لكي يريها الهدى الصراحا
حتى إذا جاءهم تنحّوا
لا بل نحو قتله اجتياحا

فقد قُلبت موازين ذاك اليوم فالصبح تحول إلى ليل والظلمة تغيرت للصبح، فجاء التكرار في الأبيات متتابعاً للتعبير عما يرغب الشاعر في الإفصاح عنه في صدر البيت فكرر (إذا جاءهم تنحوا)، فكان التكرار تأكيداً على إصرارهم في الخيانة والغدر وبعدهم عن الهداية. ثم عمد الشاعر إلى بيان مكانة الإمام الحسين (عليه السلام) في قلبه فقال مكرراً:

يا بأبي أنفساً ظماءً
ماتتْ ولم تشربْ المباحا
يا بأبي أجساماً تعرّتْ
ثم اكتستْ بالدما وِشاحا
يا سادتي يا بني عليّ
بكى الهدى فقدكم وناحا
أوحشتم الحجر والمساعي
آنستم القفر والبطاحا
أوحشتم الذكر والمثاني
والسور الطوال الفصاحا
لا سامح الله من قلاكم
وزاد أشياعكم سماحا

فقد جعله بمثابة والده فقال (يا بأبي) بل أعلى مقاماً وأنبل موضعاً، فكان يناديه بـ(يا النداء) كما ينادي من بعد عنه وغاب في لحظات وكأنه حضر المصاب في وقته ثم غير خطابه إلى (يا سادتي يا بني علي) ـ فذكر بكاء الهدى لما فقدناه، واستمر في أسلوب التكرار الذي أصبح عماد هذه القصيدة فكرر (أو حشتم) مرتين حب اعدائهم الضلال والباطل بدلاً من الذكر والمسعى الصالح. فلو أمعنا النظر فيما مضى لوجدنا التكرار يشكل خطاً معنوياً يسير فيه الشاعر فيسير فيه في البيت ثم يعود إليه في البيت الذي يأتي به كأنه يدور في دائرة من الأفكار التي تراوده بلا هوادة فيذهب ويعود للنقطة نفسها وهذا الذهاب والإياب حققه التكرار في بداية الأبيات في هذه القصيدة.

الخاتمة:

بعد رحلتي في الشعر الحسيني المصري وجدت ما يأتي:

١. تمسّك الشاعر المصري بالقضية الحسينية، وجعلها منهجاً له في حياته، وبلغ الاهتمام بالقضية الحسينية أوجها في عصر الفاطميين.

٢. أضفى تكرار الحرف في بنية الكلمة معنى مضافاً لمعنى الكلمة أستطاع الشاعر المصري أن يستوعبه ويوظفه في شعره أحسن توظيف.

٣. التكرار ليس غاية في قصائد الشاعر الحسيني المصري بل هي وسيلة لبيان ما يعتمر به صدره من ألم ورغبة في نصرة القضية الحسينية لما لها من رابط قوي بين ماضي المسلمين، وحاضرهم في مصر.

٤. استعمل الشاعر الحسيني المصري أنواع التكرار من حرف وجملة وصيغة في مواضع محددة في البيت الشعري، فحمل ذلك نوعاً من الإيقاع جعل من المتلقي مشاركاً في التكرار، وكأنه يندب تلك الواقعة مع الشاعر.

٥. كرر الشاعر المصري نمط الجملة أكثر من تكرار الجملة نفسها، فأوجد لنا معاني مضافة من خلال هذا النوع المميز من التكرار.

٦. عمد الشاعر إلى تكرار حرف النداء (يا) أكثر من سائر حروف النداء لما له من دلالة على القريب، والبعيد، ومتوسط البعد، وما يثيره من دلالات على قرب الحبيب الإمام الحسين (عليه السلام) من قلب الشاعر فهو الحاضر في قلوبنا، والغائب عن دنيانا.

٧. أصبح التكرار البؤرة المعنوية الأساسية في معظم القصائد الحسينية المصرية؛ لما للتكرار من مميزات، فتارة كرر الحرف، وأخرى كرر الكلمات، وثالثة كرر الجمل والصيغ في بنية القصيدة الواحدة.

وفي نهاية بحثنا في الشعر الحسيني المصري أجده قاصراً عن الغرض المرجو، ولي في ذلك عذر لضيق صفحات هذا البحث، فالموضوع يحتاج لدراسة مستفيضة في الشعر المصري الحسيني قديماً وحديثاً، ولاسيما أن الشاعر المعاصر استطاع أن يعطي صورة شعرية واضحة عن واقعة الطف على الرغم من البعد الزمني والمكاني من الشاعر المصري الذي وظفه في الربط بين القضية الحسينية والواقع المعاش، وهذا الربط جعل من الإمام الحسين (عليه السلام) وآل البيت رمزاً لم يستطع الشاعر تجاوزه، فهي قضية الحاضر والماضي معاً.

المصادر والمراجع:

١. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السّيوطي (ت٩١١هـ)، (د. ط.)، المكتبة الثقافية، بيروت ـ لبنان، ١٩٧٣م.

٢. أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، جواد شبر، ط١، دار المرتضى، بيروت – لبنان، ١٩٨٨م.

٣. الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، د. عبد القادر عبد الجليل، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن – عمان، ٢٠٠٢ م – ١٤٢٢ هـ.

٤. البناء الصوتي في البيان القرآني، د. محمد حسن شرشر، ط١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٥. تحليل النص الشعري في بنية القصيدة الغربية، محمد أحمد فتوح، ط١، النادي الأدبي الثقافي، جدة – المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

٦. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د. حسام سعيد النعيمي، ط١، دار الرشيد للنشر، مكتبة لسان العرب، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات، ١٩٨٠م.

٧. الصاحبي (كتاب في فقه اللغة)، أحمد بن فارس بن زكريا (ت٥٩٣هـ)، تح: الشيخ أحمد صقر، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

٨. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، السيد يحيي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلويّ اليمني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

٩. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٤، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٧٢ م.

١٠. الكلمة (دراسة لغوية معجمية)، حلمي خليل، ط١، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٨م.

١١. لسان العرب، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، حققه: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٩م.

١٢. اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج)، د. سمير شريف استيتية، ط١، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، أربد، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

المجلات:

١. أسلوب التكرار بين القدماء والمحدثين، أ. عبد القادر علي زروقي، أ.د. محمد عباس، مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، ع (٩)، جوان، ٢٠١٧م.

٢. التكرار في الحديث النبوي الشريف (دراسة دلالية في كتاب (الكاشف عن حقائق السنن) للطّيبي، (ت٧٤٣ هـ)، أ.م.د. إيمان صالح مهدي، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، تصدر عن كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية / جامعة بغداد، ع (٢٢٣)، م / ١، ٢٠١٧م.

٣. التكرار من منظار علم اللغة النص ودوره في تماسك النص على نظرية هاليداي وحسن (الخطبة القاصعة

من نهج البلاغة أنموذجا) آفرين زارع، نجمة سلطان آبادي، مجلة اللغة العربية وآدابها، ع (١)، ٢٠١١م.

٤. التكرار وأنماطه في شعر عبد العزيز المقالح، أ.د.صلاح مهدي الزبيدي، نصر الله عباس حميد، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، تصدر عن جامعة ديالى، ع (٦٧)، ٢٠١٥م.

٥. الذات والآخر في المنظور النفسي والاجتماعي والفلسفي، محمد جبار مناتي آل سلطان، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، تصدر عن كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية / جامعة بغداد، م/ ٦١، ع (٤)، الملحق (٢)، ٢٠٢٢م.

٦. أ.م.د. رسول بلاوي، ظاهرة التكرار ودلالالتها الفنيّة في شعر الدكتور علي مجيد البديري، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، تصدر عن كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية / جامعة بغداد، ع(٢٢٤)، م/ ١، ٢٠١٨م.

المصادر الألكترونية:

الإمام الحسين في الشعر المصري، محمد الصفار، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠١٥، https:// imamhussain.org/arabic/6964.